# أسلوبية البنية الدلالية في مراثي السيد حيدر الحلّي


**حسين نعمة الركابي**

**طالب الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان ، إيران**

husseinalrekabi2022@gmail.com

**الدكتورة سمية حسنعليان (الكاتبة المسؤولة)**

**أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان ، إيران**

s.hasanalian@fgn.ui.ac.ir

**الدكتور أمين نظري تريزي**

**أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة شيراز ، إيران**

aminnazari1369@yahoo.com


# The stylistics of the semantic structure in the elegies of Mr. Haider al-Hilli


**Hussein Nemah Al Rikabi**

**Master student , Department of Arabic Language and Literature، University of Isfahan , Iran**

**Dr. Somaye Hassanalian (writer in charge)**

**Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature، University of Isfahan , Iran**

**Dr. Amin Nazari Terizi**

**Assistant professor , Department of Arabic Language and Literature، University of Shiraz , Iran**

**الخلاصة** :

قد هدف بحثنا الحالي إلي الدرس والتحليل للخصائص الأسلوبية الدلالية في مراثي السيد الحلّي والتي تتمثّل في الحقول الدلالية والصور الشعرية؛ قد تكوّنت عينة الدراسة من ٢٦ قصيدة ومقطوعة في رثاء أهل البيت (عليهم السلام) وانتهجت الدراسة المنهج الأسلوبي القائم علي الوصف والتحليل والإحصاء. وما توصّلت إليه الدراسة هو أنّ الخطاب الشعري في المراثي قد تكوّن من أربعة حقول دلالية رئيسة وهي حقول الجريمة، الألم والحزن والجراح، الدين والمكان؛ وكثرة تواتر حقلي الجريمة والحزن علي سائر الحقول تعزي لطبيعة الشعر الرثائي الذي يحفل بمضامين القتل والدمار والأحداث الجسيمة والمؤلمة. كما أنّ الصور الشعرية الموظّفة في المراثي تتمحور حول دلالات مثل؛ مناقب أهل البيت (عليهم السلام)، ومثاقب العدي، واستنهاض الإمام المهدي (عج) ، ووصف ساحات الحرب، والتغزل وذكر الدمن.

**الكلمات المفتاحية** : السيد حيدر الحلي ، المراثي ، الأسلوبية ، البنية الدلالية ، الحقول الدلالية ، الصور الشعرية .

**Abstract:**

our current research aims to study and analyze the stylistic-semantic characteristics of Al-Sayyid Al-Hilli's elegies. The study sample consisted of 26 poems and stanzas in the lamentation of Ahl al-Bayt, peace be upon them. The study adopted the stylistic approach based on description, analysis and statistics. The poetic discourse in elegies consisted of four main semantic fields: the fields of crime, pain, grief and wounds, religion and place; The frequent occurrence of the fields of crime and sadness in all other fields is due to the nature of elegiac poetry, which is full of the implications of murder, destruction and grave and painful events. The poetic images used in elegies revolve around connotations such as; The virtues of Ahl al-Bayt, peace be upon them, the drills of al-Adi, the awakening of Imam al-Mahdi, description of the battlefields, flirtation and remembrance of blood .

**Key words** : Sayyid Haydar Al-Hilli , elegies , stylistics , semantic structure , semantic fields , poetic images .

**المقدّمة** :

علم الأسلوب هو دراسة الأسلوب المستخدم في نص أو جزء من خطاب والتأثير الذي يريده الكاتب أو المتحدث على جمهور معين باستخدام أسلوب معين. يسعى علم الأسلوب إلى إيجاد المبادئ والخطوط الانتقائية التي تستخدمها الفئات الاجتماعية في استخدام وتصنيف ودراسة لغتهم. من خلال تعريف واحد، فإن الأسلوب هو تفسير النص بناءً على الأسلوب اللغوي ولحن النص. علم الأسلوب هو أحد أكثر أشكال اللغة استخداماً في الأدب، وقد تم إجراء الكثير من الأبحاث حول تحديد الأساليب الأدبية واللغة الشخصية والفردية الإبداعية للمؤلف. وفقًا لـ Lester Bulls-Pearson، فإن الغرض الرئيسي من الأسلوب ليس فقط السمات الظاهراتية والمشتركة للنص، ولكن أيضًا أهميته العملية في تفسير النص بهدف ربط التأثيرات اللغوية والمعجمية بالأسباب اللغوية١ في هذا الصدد، ينبغي القول إن استكشاف المكون الأسلوبي في الأدب والشعر سيؤدي إلى قيام القصيدة بتحليل نية الشاعر في التأليف وقيمة محتواها، من وجهة نظر فنية ونقد الثبات.

من موضوعات الشعر في مجال الأدب موضوع مدح الأتقياء والعظماء الذين يشار إليهم بالأئمة. تناول العديد من الشعراء هذه القضية في أشعارهم وكتبوا الشعر. يعد السيد حيدر حلي من الشخصيات البارزة في هذا المجال وله قصائد كثيرة عن الأئمة وأهل البيت. السيد حيدر حلّي هو أحد الشعراء المنتمين لعلماء الشيعة ورجال الدين الذين ألفوا قصائد عاشوراء رائعة من خلال تأليف قصائد دينية وطقوسية والتي لا يمكن تعويضها من حيث المضمون ولكنها تحتاج إلى بحث عميق من حيث الأسلوب و سياق الشعر. من الواضح أن موضوع موسيقى الشعر والأسلوب والاستعارات والصناعات

الأدبية واللغة هي أهم العناصر في تكوين العمل الأدبي، وبالتالي عند تحليل القصيدة من حيث المحتوى والموضوع، من حيث المكونات المذكورة أعلاه، سيكون صحيحا ويمكن ذكره كنموذج وعمل أدبي متماسك٢ الآن وحسب ما قيل، فإن الهدف الرئيسي واهتمام الباحثين هو أسلوبية البنية الدلالية في مراثي السيدحيدر الحلّي والتي تتمثّل بالحقول الدلالية والصور الشعرية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، نظراً للدور الذي يلعبان في بنية الدلالة. لذا قد تمّت دراستها في قسم المستوي الدلالي.

## منهج البحث :

تنتهج الدراسة المنهج الأسلوبي القائم علي الإحصاء وتحليل المحتوي مستعينة بنظرية شارل بالي في الأسلوبية الوصفية .

## أسئلة البحث :

نحاول في هذا المقال الإجابة عن السؤالين الآتيين :

- كيف تبلورت البنية الدلالية في مراثي السيد حيدر الحلي؟
- ما أهمّ السمات الأسلوبية في البنية الدلالية لمراثي السيد حيدر الحلي؟

## خلفية البحث :

يجمع الباحثون وأصحاب التراجم الأدبية على أن شعر السيد حيدر الحلي في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) هو أجود شعره وقد حاز شاعرنا على إعجاب كبار الشعراء والأدباء في عصره واشتهر بحولياته في الرثاء وعد من فحول الشعراء، تناوله الباحثون بالدراسة وكتبت عنه الكثير من المقالات على سبيل المثال لا الحصر: "السيد حيدر الحلي شاعر عصره" (الحلي، ٢٠٠٣م: ٤٢٨) ، "العذاري، وقفة مع السيد حيدر الحلي ناعي قتلى الطف، (زهراب،وآخرون، ٢٠١٨م: ص٤٣-٦٤)، (الكعبي،٢٠٠٦م: ٦٢-٩٨)، (مسلم عزيز، ٢٠١٢م:

٣٩-٦٠) والكثير من الدراسات تناولت اعمال السيد حيدر الحلي وأشعاره بالتفصيل لا يتسع المجال هنا لذكرها.

تناول فارس عزيز (٢٠١١م) في بحثه المعنون بـ"الأساليب الإنشائية في مراثي آل البيت (عليهم السلام) للسيد حيدر الحلي" (دراسة أسلوبية) الأساليب الإنشائية في مراثي آل البيت (عليهم السلام) المؤلفة من (٢٢) قصيدة ومقطوعة واحدة ويبلغ عدد أبياتها (١١٤٤) بيتا، عند الشاعر العراقي السيِّد حيدر الحلي (١٨٣١ – ١٨٨٦ أو ١٨٨٧)، لشهرته الواسعة في الرثاء عامة، وفي رثاء الإمام الحسين ( ع ) خاصة. إذْ يكاد يجمع الباحثون والدارسون وأصحاب التراجم الأدبية على إن شعر السيد حيدر الحلي في رثاء الإمام الحسين ( ع ) خاصة هُوَ أجود شعره، فقد نال السيد حيدر الحلي "في هذا المضمار إعجاب كبار الشعراء والأدباء في عصره "وقد عُدَّ "كإمام في صناعة الرثاء" وقد "أُشتهر بحولياته في رثاء الحسين" حتى فضَّله بعض مصنِّفي أدب الطف على كل مَن تعاطى رثاء الإمام الحسين ( ع ) من " فحول شعراء الشيعة المتقدمين والمتأخرين.

لقد عالج مسلم (٢٠١١م) في بحثه أغراض ديوان السيد حيدر الحلي وفنونه وما توصّل إليه البحث هو أنّ السيد حيدر الحلي شاعر شهير من شعراء القرن التاسع عشر، طرق أبواب الشعر جميعها لاسيما باب المديح وباب الرثاء فكان شاعرا مدَاحا أولا وشاعرا نواحا ثانيا، وقد أشتُهر بغرض الرثاء لاسيما رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) وحصل على إكبار وإعجاب معاصريه ومجايليه وقد مزج في رثائه بين الحماسة والفخر، أما فنون شعره فكانت (الموشح) و (التخاميس) و (التاريخ الشعري) والسيد حيدر الحلي لم يتفوق في هذه الفنون بل قامت شهرته على الرثاء، فالرثاء عنده هو الدعامة الأساسية والقاعدة الرئيسية التي قامت عليها شهرته لأنه أجاد في هذا الفن إجادة كبيرة.

كما يمكن استنتاجه من نصوص الأبحاث السابقة، فإن الشخصية الأدبية لسيد حلي قد تمت دراستها من قبل العديد من العلماء والمفكرين حتى الآن، كل منهم أشار إلى جزء من عالمه الشعري وأنشطته الأدبية. ولكن ما لم يتم ذكره وإهماله حتى الآن هو النظرة الأدبية والنقد لأسلوبه الشعري في مراثي أهل البيت من حيث الاستعارات الأدبية والأسلوب الشعري وانعكاس المعتقدات الصادقة في مفاهيمه الشعرية.

## ١. البنية الدلالية

الدلالة مصدر لفعل "دلّ يدلّ" ومصدره "دلالة ودلولة" ودليلي إلي الشيء وعليه: أرشده وهداه.٣ ودلّلت بهذا الطريق عرفته، ودلّلت به أدلّ دلالة وقال ابن الدريد الدلالة، بالفتح حرفة الدلّال وهو الذي يجمع بين البيعين.٤

يطلق علم الدلالة، علي العلم اللغوي الحديث، الذي يبحث في الدلالة اللغوية التي يلتزم فيها حدود النظام اللغوي والعلامات اللغوية، دون سواها. ومجاله دراسة المعني اللغوي علي صعيد المفردات والتراكيب. سنحاول في هذا الفصل تطبيق نظرية الحقول الدلالية علي القصائد المدروسة الّتي بين أيدينا، ليس تطبيقاً كلياً لها، «لأنّها في الأصل لم توجد لدراسة النصوص الأدبية، إنما كان الهدف من نشأتها تأسيس نظرية علمية قادرة علي استيعاب المعجم اللغوي للغة ما استيعاباً علمياً منهجياً،»٥ ومن هنا نستطيع القول بأنّ الهدف منها كان تعليمياً، وعليه فإنّ تطبيقنا لنظرية الحقول الدلالية سيكون انتقائياً بحيث سنأخذ من مبادئها ما يستطيع أن يفسّر الاختيارات اللغوية لشعراء هذه الفترة. وهي من أهمّ النظريات الحديثة وهدفها تصنيف المداخل المعجمية أو المعاني، وهي نظرية تعتمد علي فكرة وهي أنّ المعاني لا توجد معتزلة بعضها عن بعض.

## ٢. أبرز الحقول الدلالية المستخدمة في مراثي السيد حيدر الحلي

جاء في معجم العين للفراهيدي تعريف الحقل لغة: «الزّرع إذا تشعّب ورقه قبل أن يغلظ، وأحلقت الأرض إحقالاً.٦ وفي تعريفه الاصطلاحي حدّد أولمان الحقل بأنّه «قطاع متكامل من المادّة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة.»٧ الحقل الدلالي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها. ولكي يفهم معني كلمة يجب أن تفهم مجموعة الكلمات المتّصلة بها دلالياً، فمعني الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخري في داخل الحقل المعجمي.٨

إنّ نظرية الحقول الدلالية «نظرية سبق إليها علماء اللغة العربية في معجماتهم التي وضعوها علي المعاني والموضوعات، وهي كتب تناولت تقسيم اللغة علي علاقات دلالية في الحيوان والنبات والإنسان والجماد والطبيعة -السماوات والأرض- ولكن هذه الموضوعات التي تناولها العرب في معجماتهم كانت تتسم بالعمومية، تحتاج إلي تنظيم أدق وأكثر في المنهج.»٩ كما يمكن أن تعتبر الحقول الدلالية حقول فهرسية دلالية «فهرسية لكونها كلمات ودلالية لارتدادها ولإرجاعها إلي العلاقة بين الدال والمدلول.»١٠ كما أنّ الهدف العام من تحليل الحقل الدلالي: «جمع كلّ الكلمات التي تخص حقلاً معيناً والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام.١١

سيطرت علي مراثي السيد الحلّي عدّة مفردات أدّت دوراً بارزاً في تشكيل الموضوع العام، وقد جاءت هذه المفردات من حقول مختلفة لخدمة الحقل العام؛ وهو حقل رثاء أهل البيت (عليهم السلام) الذي يعدّ الموضوع الرئيس في القصائد المدروسة كلّها، لن نعتقد أنّ هذه الحقول الدلالية التي تمّ وضعها في الجداول التالية هي كلّ الحقول المتوفّرة في مراثي السيد الحلّي، ولكنه يمكننا

القول بأنّها تمثّل المجالات الدلالية الكبري التي يتكوّن منها خطاب الشاعر في مراثيه، وهذا فمن أبرز الحقول الدلالية في مراثي السيد الحلّي ما يلي:

## ٢-١. حقل الجريمة

أ. حقل الألفاظ الدالة علي الجريمة ويتضمّن هذا الحقل المداخل المعجمية التالية:

**الجدول (١) أهمّ الألفاظ ومتعلقاتها الدالة علي الجريمة**

| الدّماء | الأعداء | الغرق | الدفن | المنية | طريدة | أمنية | صريعة | المسلوب | الرّمح |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ابن طليق | الشحناء | الكتائب | السّفاح | اللواء | الفجور | قهرت | استأصلت | الصفاح | الحتوف |
| السيوف | الوغي | صلاء | حسام | السنان | موت | مرهفات | الأجال | الرّدني | الحمام |
| نهبت | عافرة الجسم | أشلاء | هتك | الطعانة | تنازعت | الاهتضام | أراقوا دماً | ابن ملجم | اختصاب بالدم |
| نضخوا دمي | قتلتم | شقّ رأس | جوركم | تقطّعت رقاب | عصبة الإلحاد | اغتصابه | الثّاق | فريسة | الباطل |
| مضغ الحقّ | إفكهم | الجور | العتاة | قرضاب | الهيجاء | إرهابه | مضطهّد | اغتصابه | أغتصبَ |
| ضغن | حقود | الغيض | الحرب | ملومة شهباء | النجيع | عصّارة الخمر | دحرجت بابها | وترها | يمزّق |
| عناداً | يدمي | أنابيب سمر | سمر الخطّ | قناها | طعناً | بيض الهند | الرعب | تقهرها | البَغي |
| قسراً | ضرّج السيف | ذعاف الموت | أشلاء حرب | بنو السّفاح | النزّ | أطراف العوالي | أبي سفيان | الثأر | تحَرق وَدّجا |
| الضارب | يوم الرّوع | أضرموها | نزّجا | الضبع | الثّباة | صرعي | الفساد | أسري | الصّوارم |
| الكتيبة | بأسه | جُنّاح | الفحشاء | فجورك | غصب | جُرم | دكوا | ذنب | ناقم |
| سفك | خرّ لوجهه | ألّ حرب | تبيدونهم | شرك الحتي | النّمر (الرماح) | الظالمين | تحرق اللحمَ | الكافر | الماكر |
| غيلة الشّرك | خضرب الشّوي | دلاصاً | مغفراً | جبهة الكفر | دامية الصّدور | يوم الكريهة | رجس | جحافل | يقاتل |

تشكل مفردات هذا الحقل بدلالاتها مساحة واسعة في المراثي، وأي قراءة متأنّية سوف تؤكد هذه النظرة كما أن الجدول السابق يشير إلي كثافة حضورها، فإنّ مفردات هذا الحقل طغت علي كلّ المراثي، وشغلت مساحة واسعة وحيزاً كبيراً منها؛ فلقد أكثر السيد الحلي من مفردات الجريمة وما يتعلّق بها، لكونه مازل علي وقع صدمة ناتجة عن المصائب التي حلّت بأهل البيت (عليهم السلام) خاصة الإمام الحسين (عليه السلام)في معركة الطّف؛ وكان الجرح لا يزال حياً، فيكون الشاعر في حالة غضب وحنق شديدين علي من قاموا بقتل جدّه الحسين (عليه السلام)، فإنّ الإمام وأسرته عند السيد الحلّي أهمّ من القيمة وأهمّ من الأهمية ذاتها، لم يقدر الشاعر علي تصوّر الطريقة المهينة البشعة في قتل سبط

النبي وهتك عرض أهله (عليهم السلام)، فانطلق لسانه بصواريخ كلامية هاجياً بني أمية، ومصوّراً طريقة قتلهم لعترة الوحي في قوله:

حيث الحسين علي الثّري خيلُ العِدي طَحَنت ضلوعَه
قتلته آل أمية ظامٍ إلي جنب الشّريعه
ورضيعُه بدمِ الوريـ د مُخضَّبٌ فاطلب رضيعه ١٢

وفي هذا النموذج نجد سيد الحلّي يتكيء علي النبرة المفعومة بالحزن في توظيف مفردات ذات مدلولات علي الظلم، والموت والقهر؛ قد كان الشاعر في موقف وصف مشهد الجريمة والجناة وشهداء الطفّ، فبالنسبة لمشهد الجريمة فقد تناول الشاعر الحزين الغاضب وصفاً لكيفية تنفيذ عملية الجريمة وللأحداث الجسيمة المؤلمة والمرعبة من يوم الكريهة التي أدّت إلي كون الأرض مغمورة من فيض دماء الأبرياء الأضحياء حيث يقول:

حيث النهارُ من القتامِ دُجُنّةٌ ودُجَي القَتامِ من السّيوف نهارُ
والخيلُ دامية الصّدورِ عوابسٌ والأرضُ من فيضِ النّجيعِ غِمارُ١٣

وبالنسبة للجناة والأضحياء فقد تناول الشاعر وصفاً لهؤلاء المجرمين بأبشع الكلمات؛ حيث يصفونهم بطليقة جدّه والرّجس، أما بالنسبة للأضحياء المتمثّلة بالإمام الحسين (عليه السلام) (أبو السجّاد) فقد وصف الشاعر حاله في أثناء تنفيذ الجريمة بقوله:

وفجايعُ الأيّامِ طائفةٌ شرقاً وغرباً شأنُها الخَلسُ
وأجلّها يومُ الطفوفِ فلا وهمٌ تَصوّرَه ولا حدسُ
يومٌ أبو السّجادِ ألقحها شعواءَ تُزهَقُ دونَها النفسُ
واسودّ مشرقُها ومغربُها بالنّقعِ حتي ماتتِ الشّمسُ
لمّا طليقةُ جدّه وَرَدَت لقتاله يقتادُها رجسُ

يلقـــي الرّمـــاحَ بصـــدرِه وكـــأن  يـــومَ الكريهـــةِ صـــدرُه تُـــرسُ١٤

وفي النموذج أعلاه نلاحظ أنّ الشاعر قد لخّص مفردات هذا الحقل بشكل ملحوظ يوحي بكثير من الدلالات بدءًا من النموذج وانتهاءً بالنص الذي اشتمل علي عدّة مفردات (فجايع، تزهق، ماتت، قتاله، رجس، الرّماح، ترس، يوم الكريهة) من وحي تجربته الوجدانية لما يحدث علي جدّه من مظاهر الظلم، والدمار. فقد أراد الشاعر بتوظيف هذه المفردات أن يفضح الجاني وجرائمه ووصف أبشع الممارسات التي مارسها علي عترة الوحي (عليهم السلام). إذن كانت هي تلك الأسباب الرئيسة التي جعلت من المعجم الشعري لحقل الجريمة يتصدّر قائمة الحقول الدلالية بعد حقل الألم، والحزن والجراح.

## ٢-٢. حقل الألم ، والحزن والجراح

حقل الألفاظ الدالة علي الألم والحزن والجراح ويتضمّن هذا الحقل المداخل المعجمية التالية كما نلاحظه في الجدول التالي:

**الجدول (٢) أهمّ الألفاظ ومتعلقاتها الدالة علي الحزن، الألم والجراح**

| الداء | الجزع | الحناء | الأنين | الدّمع | الزّفير | الأسي | البكاء | التّنجن | النوي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| صدع | الأنين | العزاء | واريتَ | تعي | النوح | الرّزية | الكرب | البلاء | تكل |
| الصراخ | الخطوب | الشقاء | ضاقت | الزّفرات | تفطّرت | الغصص | أمضّ | حرق الجوي | العويل |
| أوجع | ضجيع | الرّثاء | مصابه | غريباً | الأشقي | الاغتراب | ضجّ | عفّره | اغبرّ |
| لينتحب | منتدباً | صرخة | العُمي | سئم | صابه | مصاعب | مأزق | القرحة | مضّ |
| حسري | عبرات | تحنّ | حرام | الهمّ | الشجو | الذلّ | لُجّأ | عطشي | البلا |
| المُكريا | شكوي | ضيق | نشجا | الكظم | منزعجا | مقلقاً | خرجا | الرّياح | حرّان |
| لهف | عُقمت | فقماء | حرقة | تباريح | قلب الموجع | المتوجّد | جمود العين | فتّ حشا | ضعفها |
| نبضها الفاتر | أضرستنا الخطوب | طول انتظارك | أ صبراً؟ | الجراح | بلا عاضد | بؤس | مفطوراً قلبه | جُراحات حزن | أفاويق الدّموع |
| فجايع الأيام | تُزهق النفسُ | لسعة الهمّ | قلبي الموجوع | اندهاش | رُزئكم | النفس الهلوعة | حرّي القلوب | تضيق الأضلاع | استوطن الهمّ |

يأتي حقل الألم، والحزن والجراح في المرتبة الثانية بعد حقل الجريمة، ولا عجب في ذلك إذ إنّ هذا الحقل يعدّ من الحقول الأساسية التي تشكل الخطاب

الرثائي، ولا يكاد يخلو أي خطاب رثائي من هذه المجالات الدلالية١٥ فالسيد الحلّي يعاني في كافة قصائده الرثائية ويلات الألم الشديد والتوجّع المضني إثر ما حل بأهل البيت (عليهم السلام) من ويلات ومصائب. وقد يعزي تفوّق حقل الجريمة علي حقل الألم، والحزن والجراح بالحماس الشديد لدي السيد الحلّي؛ إنّ الشاعر «كان ثائراً عنيف الثورة منفعلاً أشدّ الانفعال وكان شعوره بفداحة الظلم مندفعاً أشدّ الاندفاع»١٦ فلو كان الشاعر غير منفعل وهادئاً وغير متحمّس لتساوي هذا الحقل مع حقل الجريمة من حيث الكثافة المعجمية. ومن النماذج التي تنتمي لهذا الحقل أبيات ذات طابع نفسي لمشاعر الألم والحزن والجراح التي تعكس رؤية الشاعر للأحداث الجسيمة المؤلمة المحيطة بروح الكون (الإمام الحسين (عليه السلام)) في واقعة الطف في قوله:

نَعي من بقلب الدّهر من جُرح جسمه جُراحاتُ حزنٍ لا يُعالَجنَ بالسَّبرِ

نَعي أنّ روحَ الكون بالطفّ أقلعَت يدُ الموتِ منه وهي داميةُ الظُّفرِ١٧

بلغ مجموع مفردات هذا الحقل في هذين البيتين ٦ مفردات ومن الألفاظ الدالة عليه (نعي، الحزن، الجرح، جراحات، السّبر) والملاحظ أنّ الألفاظ الدالة علي هذا الحقل وردت بنسبة عالية في هذين البيتين وهذا يعود إلي حيرة الشاعر وعدم تقبله للواقع المرير في حقّ سيّد الشّهداء وثاني السبطين والذي جعله متوتّراً ومضطرباً. وكأنّ هذه المفردات جاءت لتعكس ما تنتاب الشاعر من مشاعر وجدانية وأحاسيس مضطربة فهي ألفاظ ذات دلالة سلبية لأنّها توحي بالانكسار العاطفي والمعنوي لدي الشاعر.

### ٢-٣. حقل الدين

حقل الألفاظ الدّالّة علي الدين ويتضمّن هذا الحقل المداخل المعجمية التالية كما يتبيّن ذلك في الجدول الآتي:

## الجدول (٣) أهمّ الألفاظ ومتعلقاتها الدالة علي الدين

| المقدّسة | محمّد | الأنبياء | الرّشاد | الصّفاء | الملائك | الإله | آدم | الرّحمن | خليفة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| بقية الله | نوح | موسي | الأئمة | النبوة | الوحي | الكتاب | القضاء | الإمامة | العبّاس |
| فاطمة | وديعة الرّحمن | أحمد | الله أكبر | الصّلاح | بني الزّهراء | آل بيت | صائمة | المهدي | بنات محمّد |
| حجب النبوّة | البتولة | بني النّبي | صلّي الله | أبناء الرسالة | يوم القيامة | حمد | تناء | الإسلام | كتاب النبيّ |
| المرتضي | تنزّل الرّوح | توابه | الحشر | مؤمن | جبريل | أبا تراب | الإيمان | الصّلاة | المهديّ |
| المحجوب | شيخه | أهل الحق | الصّابر | أمير المؤمنين | أصحاب النبيّ | الهادي | التنزيل | الرّحمن | هاشم |
| مولى المؤمنين | الرّسول | المسلمين | الخلافة | السقيفة | نزار بن معد | دم الوحي | بنات فاطمة | بنات الوحي | الحجة (عج) |
| آل الله | الصّلاح | الفلاح | سبط أحمد | غلابها | الأطهار | ابن علي | القائم الطّهر | إمام الهدي | نبي الهدي |
| ربّ السّما | تعجيله (المهدي)) | ظهوره | عدلك | صفوة المجد | التقي | صحب النبيّ | وصيّ الرّسول | أبي الطاهر | عترة الوحي |
| أبو السّجّاد | ساجداً | داعياً لله | الموفين لله | مُقلة الإسلام | قلب الدين | سجدة الشكر | ذات قدس | الرّحمان | عالم الذرّ |
| صفوة الله | الحشر | النّشر | النصر الإلهي | حجر الله | الشّهادة | شاكراً | صابراً | كرائم الوحي | حامي الشريعة |
| جنود الله | غيرة الله | كرائم التنزيل | آل الرّسالة | مناجيب | الدّين الحنيف | النساء المحصنات | بنّات الرّسول | القائم المهدي | روضة الدين |

قد شغلت ألفاظ الحقل الديني حيزا كبيرا ومساحة واسعة من النص الشعري لمراثي السيد الحلّي، حيث لا تقلّ عدداً من حقل الحزن، والألم والجراح، ويوحي الحقل الديني في المراثي بعواطف الاحترام والتقدير والقداسة التي يكنّها السيد الحلّي لأهل البيت (عليهم السلام)؛ حيث يجعل الشاعر شخصية البطل مقدّسة لها كبير من الاحترام والمهابة والتقدير وخاصة إذا كان المتلقّي له حظ معتبر من التدين؛ فعند سماعه لمفردات مثل: «القائم الطّهر، صفوة الله، النساء المحصنات، جنود الله، الموفين لله، آل الله، روضة الدين، دم الوحي، مقلة الإسلام، الأطهار، وديعة الرّحمن و...» يدرك المتلقّي ما يتحلّي به الشخص الديني من الجلال والاحترام والعظمة. أضف إلي ذلك إنّ مفردات الحقل الديني في مراثي السيد الحلّي توحي بأنّ المرثيّ شخص بريئ طاهر بعيد كل البعد عن الأعمال الشيطانية الذي نال منها رغم براءته وعصمته ونقاوته مثلما نلاحظه في النموذج التالي حيث يقول الشاعر:

نَعي مقلةَ الإسلامِ فاحتلبَ الشّجي ... دماءَ أفاويقِ الدّموعِ من الصّخرِ
نَعي شطرَ قلبِ الدينِ للدين فَاغتَدي ... ومن قلبه شطرٌ ينوحُ علي شطرِ
نَعي من دعا بالدين حيّ علي الهدي ... أناساً دعوا بالشّرك حيّ علي الكفرِ
نعي داعياً لله حيّاً وميّتاً ... وفي زُبُرِ الأسيافِ يصدع والذّكرِ
نَعي ساجداً صَلّت إلي الله روحُه ... قضي رأسُه المرفوعُ من سجدة الشّكر
نَعي من أعار اللهَ بالطفّ هامَه ... ومن قلبُه فيها أقامَ علي جمرِ
نَعي ذاتَ قُدسٍ يعلمُ الله أنّها ... منزّهةُ الأفعالِ في السرّ والجهرِ
نعي شاكراً نالَ الشّهادةَ صابراً ... وقد يُجتَني شهدُ العواقبِ بالصّبرِ١٨

والسيد الحلّي إذ يعظم الشهيد ومكانته وراه في الكون أنّي اتّجه، معشوق به بجنون، متّحد معه إلي حدّ الانصهار فيه، فهو يقدّم العديد من العواطف والحبّ له؛ فالشهيد في كبريائه ونشوته القدسية يلوح أبعد ما يكون عن البشر، وأقرب ما يكون إلي عوالم الملائكة.

## ٢-٤. حقل المكان

حقل الألفاظ الدالة علي الأمكنة ويتضمّن هذا الحقل المداخل المعجمية التالية كما نلاحظه في الجدول التالي:

**الجدول (٤) أهمّ الألفاظ ومتعلقاتها الدالة علي المكان**

| مني | الجرعاء | البطحاء | كاظمة | الطف | كربلاء | كوثر | الفردوس | الثري | الطور |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| التوفة | الأرض البسيطة | قفراء | محرابه | غابه | الوكور | منبر الهادي | وجار | لصابها | أجراع الطفوف |
| بيداء | هضابها | المشرق | المغرب | الخيا | أجرد صفصف | شعاب الطفّ | رُباها | مرتعاً مُخصباً | مَلجأ |
| مضاجع | الجنان | المسجد | معارج | جداول | حرم | حرّ الثري | مورد | المسجد | بيت الهدي |
| قابر | مصرع | البيداء | بابية | | | | | | |

إنّ المتأمّل في مراثي السيد الحلّي يجد أنّ جزءا كبيراً من حقل المكان يحمل دلالة سلبية تضمّنت حزناً وشجناً وجراحاً في وجود الشاعر كـ"كربلاء، الطفّ، القفراء، مصرع، الجرعاء، بيداء و..." فهي ترمز لبني أمية التي نسب إليها الشاعر كلّ الأعمال الدنيئة التي جعلتهم في النهاية يقومون بقتل سبط النبي فأكثر الشاعر من ذكرها حزيناً مضطرباً متوتّراً فيقول:

لا مثلَ يومِكم بعَرصة كربلا  في سالفات الدّهر، يومَ شُجونِ
قد أرهَفوا فيهِ لِجدّك أنصُلا  تركت وجوهَكم بلا عرنينِ[١٩]

فأصبح الطفّ رمزاً لنقاوة أهل البيت (عليهم السلام) ومصابهم وجراحهم وتعبيراً عن كلّ القيم الإنسانية في تحقيق العدالة والحرّية كما صار رمزاً للوحشية والعنجهية للأعداء الجبابرة:

عترةُ الوحيِ غَدت في قتلِها  حُرُماتُ اللهِ في الطفّ حَلالا[٢٠]

فيبكي الشاعر علي ما يذكر من أحداث مؤلمة في عرصة كربلاء، وفي النموذج التالي هناك إشارات إلي جمالية رائعة في التداخل والتلاحم الروحي بين الشاعر وكربلاء المقدسة، حيث لا نري فيها أي فاصل أو خطّ يقنعنا بوجود مسافة بين الشاعر وكربلاء، فمرد ذلك إلي أنّ الشاعر مصرّ علي مسح ونسف كلّ فاصلة، لتكون في نهاية المطاف مع التربة المقدّسة وفيه، حضوراً ونبضاً ووجوداً:

أناعيَ قَتلي الطفِّ لا زلت ناعياً  تُهيجُ علي طولِ اللّيالي البَواكيا
تُهيجُ علي طولِ اللّيالي البَواكيا  طَوي جَزَعاً طيَّ السّجلِ فؤاديا[٢١]

وفيما يلي تمّت إحصاء الحقول الدلالية المتوفّرة في بنية المراثي في الجدول التالي:

الجدول (٥) نسبة الحقول الدلالية في المراثي

| الحقول الدلالية | عدد التكرارات | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الجريمة | ٢٠٧٨ | ٪٣١.٤١ |
| الحزن والألم والجراح | ١٨٣٤ | ٪٢٧.٧٢ |
| الدين | ١٨٤٢ | ٪٢٧.٨٥ |
| المكان | ٨٦٠ | ٪١٣ |
| المجموع | ٦٦١٤ | ٪١٠٠ |

## ٣. الصور الشعرية

وتدرس كذلك في هذا الفصل الصور الشعرية البلاغية بمراثي آل البيت (عليهم السلام) من ديوان السيد حيدر الحلي والدلالة الكامنة وراء النص بوصفها أواصر مساهمة في العملية الإتصالية وبيان مقصود الشاعر والتعبير المريع عما يختلج في صدره من المشاعر. فالأسلوبية البلاغية بدرورها فهي مزيجة من البلاغة القديمة وعلم الأسلوبية الحديث علي العلاقة الوثيقة القائمة بينهما واتفاقهما علي البحث في الجوانب التفسيرية والفنية للخطاب الأدبي حتي وقد نصل إلي أن للأسلوبية الحديثة جذوراً منحدرة إلي البلاغة القديمة عند مناقشة الإستعارة والكناية والتشبيه بشكل خاص فهذه العملية مرتكزة علي ثلاثة أركان بشكل عام وهي: التشبيه والإستعارة والكناية.

### ٣-١. التشبيه

تقوم أدلة التشبيه علي عملية عقلية هي أن نضع جنباً إلي دالين متمايزين يقابلها مدلولان يظهران تماثلاً بينهما مع إيراد لفظة دالة علي تشابه الحقيقتين فهي عملية مبنية علي حقيقتين فتشكل أقرب وأقدر بلاغية شعرية٢٢ فالتشبيه من أهم صور البيان الذي ينزع إليها الإنسان عموماً والشعر خصوصاً لتلبية

حاجته في الإبانة عن المعاني الذهنية ولاسيما الحسي منه لبيان شدة الحزن والأسي وبخاصة اذا كان التشبيه الحسي متعددة الأطراف (وثوب الليث وضرب السيف وتغاوي الأفعي) فيدل علي حتمية وقوع المضمون بأي نحو كان كقوله واصفاً شجاعة الإمام علي (عليه السلام) ورغبته في خوض القتال والكر ضدً صفوف العدي وشدة ترحيبه للمنايا:

يمشـــي إليهـــا وهـــو في ذهابـــهِ أشـــدَّ شـــوقاً منـــه في إيابـــهِ
كاشـــبلِ في وثبتِـــهِ والســـيفِ في هبّتِـــه والسّـــلُّ في انســـيابِه[٢٣]

فيرثي واقع الأسري سائبين في الصحاري - ومنهم النسوة والصبيان - بعد يوم الطف مساءً في صورة حسية مثيرة تماماً:

كجمرِ الغضا أكبادُهنّ من الظما بِقفرٍ لُعاب الشمسِ فيه شَرابُها[٢٤]

وأما من أبرز التشبيهات وأجودها نوعية أثناء مراثي الحلي لآل البيت (عليهم السلام)، فيجدر الإشارة إلي ما يلي من المنتقيات. فيرثي الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله:

أرأيـــتَ ريقـــة إفعـــوانِ صـــريمةٍ نفسُ السليمِ بها تـرومُ شفاءَها[٢٥]

يقول الشاعر في مذمة عذّاله أنّي يشفي لعاب الأفاعي السائبة في الصحاري؟! فهذا تشبيه تمثيل في بيان دعاثة المذمة وجرح اللسان وإضرارها فليست شافية أبداً. فنجد التشبيه العقلي بين الهموم ودوافع طلب الثأر وبين الأفاعي وهي تعتصر القلوب فلا راقي وشافي لسمها إلا الكفاح وامتشاق الحسام:

تُســاوره أفعــي مــن الهــمّ لم يجِـد لسورتِها شيئاً سوي السيفِ راقيا[٢٦]

فاستخدام تشبيه التمثيل بما يطويه من الإمعان وطول الفكر يناسب معاناة العذال عابثين. فيمتاز تشبيه التمثيل بحذف الأدوات يزداده غموضاً فنجد

الشاعر من أهل البراعة في استخدام أدوات البشيه حتي كجزء غير لافت من التشبيه ليكسي التشبيه رونقاً ونقائاً ومندمجاً بغيره من الفنون البلاغية كالآتي:

ورأت خضـاب الـراحتين فطرَّبـت وظننـتُ تطريـبَ الحِمـام بُكائهـا٢٧

فنشاهد حسن التعليل في الشطر الأول وقلب الطرفين لضرورة الوزن، فتوظيف أفعال القلوب بمنزلة أدات التشبيه (كأنّ) فيشير إلي سنة الخضاب عند كبر السن أم شدة الأسي علي واقعة الطف واستشهاد الإمام (عليه السلام) و صحبه وعند حضور حفلة السرور والعرس معاً. ثم يقول أني لم أصل إلي شفرة أي سبب خاص لتغني أسراب الطيور فهل كان وجداً وطرباً أم حزناً وأسي علي المصيبة. وهنا يتسني لنا ما يراه الجرجاني في أسرار البلاغة٢٨ حول مدي إيحائية التشبيه حيث يقول: «وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبحاً في الأشخاص الماثلة ﴿...﴾ ويريك الحياة في الجماد ويريك التئام عين الأضداد» وما يزيد التشبيه روعة وحسناً هنا هو استخدام الصيغة الماضية (وظننت) بهدف إيحاء أمر موهوم (حزن الحمام أم طربها تجاه رؤية الخضاب) كما هو المحتوم والمنصرم من الأمور.

ويقول الشاعر في مذمة عذّاله أنّي يشفي سمّ الأفاعي السائبة في الصحاري؟! فهذا تشبيه تمثيل في بيان دعاثة المذمة وجرح اللسان وإضرارها فليست شافية أبداً. ويدل انطلاق نفس المضمون يعني لذغة الأفاعي بعد دلال وغضاضة منها لاستقطاب الفريسة علي ليونة جوانب الأمويين وابتسامتهم منذ ذي بدأ فيحذر أن مرتعها وخيم فيما بعد واستحكموا وقد بلغوا أشد حكمهم، فقد غصبوا الحكم قهراً واحتيالاً من كف آل البيت فيناسب تمثيل لدغة الأفاعي بعد التغوي بالفريسة مضمون التحذير مسبقاً عند هذا الموقف:

هبوا ما علي رُقش الأفاعي غَضاضةٌ إذا سُـلّ منهـا ذات يـوم إهابُهـا

فهـل تصـفَحُ الأفعـي إذا مـا تَلاقيـا علـي تِـرةٍ كـفُ السـليم ونابهـا٢٩

ومنه قوله أيضاً في تمثيل دعاثة الملامة بعد ما خسر عدته في سبيل المغامرة ومباشرة الغواني فنجده يشبه نفسه بطائر مصطاد منقلع الريش فلايشتاق أي شيئ سواه حتي زيارة الشمس من بعد:

فمـــتي محـــبّ قـــد ســـلا هيفـــاءَ تُســـفر عـــن بـــراحِ
ومـــن الـــذي قـــد كلّـــف الطـــ ـــطيران محصـــوصَ الجنـــاحِ[٣٠]

فيواصل نفس المطاف بقوله:

فبعـــيني اســـودّ الصـــبا حُ لـــرُزءٍ مدركـــةِ الصـــياحِ
حـــال الصـــباحُ كأنّمـــا نُعيـــت ذُكـــاءُ إلـــي الصـــباح[٣١]

واسوداد السماء هنا كناية عن شدة نوائبه ويستخدم نفس هذه الكناية في يطار تعابير أخري سنشير إليه في القسم الخاص بها. ويستخدم حذف أدوات التشبيه في صياغة تشبيه البليغ أيضاً ليكون أكثر إيحاء وأدعي للمماثلة بين الطرفين فيصف الشاعر ساحة الوغي المشولة بمثار النقع كظلمات الليل ولايضيئه شيئ سوي شظايا السيوف، فيقول:

فحُســـامُه شمـــسٌ وعِزرائيـــلُ في يـومِ الكفـاحِ تَخالُـه حِرباءَهـا[٣٢]

فالمعروف عن الحرباء أنها تتجه الشمس دائماً. وعزرائيل كما يقول الشاعر، يتجه نحو سيف الإمام الحسين (عليه السلام) لقبض الأرواح التي يضربها ذلك السيف. ومن مواقف أخري روعة في استخدام تشبيه التمثيل هو وصف فرار العدي من الحرب هروب المفزعين ولقوا حتفهم منهم أقرب من حبل الوريد:

فالشـــؤسُ تـــأنسُ بـــالفرار كمـــا بـــالمَوت منـــهُ تـــأنس الـــنفسُ
ويـــرومُ كـــلٌّ ســـبقَ صـــاجبه هرَبـــاً فيبِـــقُ جســـمَه الـــرأسُ![٣٣]

وثمة من بليغ التشبيه في مراثي الحليّ ما عقد المماثلة بين البعيدين لغرض الحيرة والتساؤل فيتصدي الشاعر بوصف موقف استشهاد الحسين وصحبه

(عليه السلام) وتطوّق حولهم جنود العدي وتغلب عليهم اليأس من الخلاص وظمأ يمض الأكباد بحيث لايمكنهم من كر ولافر ضد العدو لشدة ما آل بهم من التعب فظلوا وسط الصحاري جاثمين. فشبه الشاعر موتهم في تلك الحالة بماء عذب ينقذهم من المعاناة بوحده:

فَثــوَت بأفئــدة صــوادٍ لم تجــد ريـاً يبـلُّ سـوي الـرّدي أحشـاءَها٣٤

وقد ذكر ابن الرشيق في العمدة: «إنما حُسن التشبيه أن يقربَ بين البعيدين حتي تصير بينهما مناسبة واشتراك»٣٥ فعقد الشاعر هنا المماثلة بين البعيدين وهما: الموت والماء البرد يدل علي شدة الوجع بحيث لايطيق الشاعر بيان عمق الرزية بشكل مباشر. فيأتي الشاعر بالتشبيه البليغ مندمجاً بالغلوّ في وصف الحقد الذي يبقي مؤبداً بين ضلوعه ضد أعداء آل البيت كجرة الغضي مختبئةتحت الرماد علي فجيعة لقوا (عليه السلام) منهم اللعانَ:

ومـما يزيـل القلـبَ عـن مسـتقرّهِ ويـترك زنـدَ الغـيظ في الصـدر وارياً
وقـوفُ بنـات الـوحي عنـد طليقِهـا بحالٍ بها يشجين حتي الأعاديا٣٦

ويوظف الشاعر التشبيه البليغ في رثاء الإمام علي (عليه السلام) بقوله: إنّ من المفترين والكذبة (راعي الإفك) من يبغي متاع الدنيا (ضرع لبون الجور) ويدوم الجور والباطل عبر تضليل الخلق والتشتت فيهم:

وظـلّ راعـي إفكهـم يحلِـب مـن ضـرع لبـون الجَـورِ في وطابـهِ
فالأمـةُ اليـومَ غـدت في مجهـل ضـلّت طريـقَ الحـق في شـعابه٣٧

ثمّ أشار تشبيهاً إلي أن الإمام علي (عليه السلام) لقبوه الناس «أسد الله» و«سيف الله» إشارة إلي بسالته وفروسيته كالحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها. فتدل بساطة التشبيه علي انصرام الحكم:

كالشـبل في وثبتِـه والسـيفُ في هبّتِـه والصـل في انسـيابِه٣٨

ومن أجمل مواقف التشبيه الحسي في شعره هو وصف مشهد سرية تعدو فيها خيل بني هاشم إلي ساحة الوغي من بكرة أبيهم فيمزج النقع المثار من دس حوافرها بسحب السماء:

(أهاشمُ) لا يومٌ لك ابيضٌ أو تُري جيادُك تُزجي عارضَ النُقع أغبرا
طوالعُ في ليل القَتام تخالُها وقد سدّت الأفقُ السحابَ المسخّرا٣٩

ويصف الشاعر دأبه وزهوه في إنشاده أفضل القصائد مختصة بمدح آل البت (عليهم السلام) كمن يغرس أشجاراً تعطي أثمارها جنياً بغير حساب وفي إطار تشبيه حسي بهيئ:

وبكم أروضُ من القَوا في كلّ فاركة شموعةِ
تحكي مخايلَها بُرو قَ الغيثِ مُعطةً مَنوعة٤٠

فمن التشبيه البليغ ما هو المشبه به متألف من عناصر عديدة وبخاصة في مديح آل البيت (عليهم السلام) لتحليهم بعديد من المكرمات كاشجاعة والحلم والذكاء وما إليها من الشيم:

فهُمُ الأطوادُ حُلماً وحِجي والظّبي والأسدُ غرباً وصيالاً٤١

## ٣-٢. الاستعارة

إن الصور الاستعارية أقوي وأقدر في إظهار الطاقات الخيالية والأداء الجمالي لما لها من إلغاء حدود المشابهة وحطم فواصل بين طرفي التشبيه فيندمج الطرفان في صورة واحدة حتي لو كانا منفصلين أو متناقضين٤٢ وفي فن الرثاء أيضاً فتدل الإستعارة علي شدة تفجع الشاعر بفقد المرثي ويمتاز أسلوبه البلاغي بالتصوير الحسي. فمنه بكاء الشاعر علي ديار الأحبة عند رؤيتها من جديد وبعد مرّ السنين عليها، ثم تمني هطول الأمطار عليها دوماً فاستعار الأمومة للسحب الممطرة فيرجو الاتفطم عن عوالي الديار ضرعها:

فاطرح لحاظك في ثنايا أنسها من أي ثغرٍ طالعت، ماساءها

لا إلفُها صَدعَتهُ شاعبة النوي يوماً ولافطم الغَمامُ كباءَها٤٣

فتصل حدة الفجيعة إلي درجة حتي وتخاطب الأرض وتدعوها أن تتقلب وتنهدم وجعاً. فخطاب الجماد والتجاوب معه بدوره ضرب من الاستعارة المكنية أيضاً:

حشدت كتائبُها علي (ابنِ محمدٍ) بالطف حيثُ تذكرت آباءَها

اللهُ أكبرُ، يا رواسي هذه الـ أرض البسيطة زايلي أرجاءَها٤٤

فيهجو الشاعر بني أمية علي نهبهم وفتكهم حرمات الدين علي غرار الجاهلية الأولي وقد انتهلت سيوفهم المصّاصة بدماء المسلمين تعسفاً:

وأبدت حقود الجاهليةِ بعدَ ما لخوفٍ من الإسلامِ طال احتجابُها

وسلّت سيوفاً أظمأ اللهُ حدّها فأضحي دمَ الهادين وهو شرابُها٤٥

ويأتي أحيانا بالاستعارة التمثيلية لأغراض منها الحث علي الجهاد في سبيل الله واكتساب رضاه عبر ثوران الغضب في ساحة الوغي:

ولم يطأ عرش العلي راضيا من لم يطأ شوك القنا مغضبا٤٦

وأيضاً يأتي بها لبيان الكراهية في الموت علي الفراش وكرامة الموت في ساحة الوغي:

لعَمري لئن لم يقضِ فوقَ وسادهِ فمَوتُ أخي الهيجاءِ غيرُ موسَّدِ

وإن أكلَت هنديةُ البيضِ شلوَهُ فلحمُ كريمِ القومِ طعمُ المهنّدِ٤٧

فموت الشمس أيضاً يستعار عن الجو الداكن إثر نقع الوغي فيما يلي:

واسودّ مشرِقها ومغربها بالنقع حتي ماتت الشمسُ٤٨

## ٣-٣. الكناية

الكناية لون من ألوان التعبير يعرض فيه الحقائق عرضاً غير مباشر فيستدعي الإشارة إلي المطلوب من بعيد لتكون في النفس أوقع وأحلي فيفيد

إظهار الحزن للمتلقي عبر بيان كل ما هو خفي في نفس الشاعر بأسلوب يجاري همسات اللوعة والأسي الرمزية أحياناً. فنجده في مرثية أنشد الإمام الحسين (عليه السلام) يشكو داء العزلة والتحسر علي ما أصاب آل البيت معاً لأنه يدعي أن هدير الحمامات في الصحاري هو الذي استوجب الكئابة ثم يردّ رادعاً علي نفسه أن السبب الحقيقي أمر آخر فيمكن أن نعتبر هذا البيت بمنزلة التخلص من نسيب القصدة المشتملة علي ذكر الدمن إلي الغرض الأصلي وهو الرثاء:

هيهـات مـا بنـت الأراكـة والجـوي نضـجُ الـزفير حشـاك لا أحشـاءَها

فاسـتبقِ مـا أبقـي الأسـي مـن مهجـةٍ لك قد عصرتَ معَ الدموعِ دماءَها٤٩

ثم يصف فيما بعد أن حدة الفجيعة ووجعها تصل إلي درجة تخرق العادة وتستحق حتي هدم أركان السماء واسوداد وجه الدهر للأبد علي سبيل المبالغة فتطبيق السماء واسوداد الدهر كلاهما كناية عن حرمان المسرة والعيش اليومي بعد هذه الفجيعة الدامية التي لايمكن تصويرها في إطار الكلمات:

ولتُطبـقِ الخضـراءُ في أفلاكهـا حتّي تصُك علي الوري غبراءَها

فوديعـةُ الـرحمن بـين عبـاده قـد أودعتـهُ (أميـةُ) رمضـاءَها٥٠

ويصف الشاعر مغبة أصحاب الطف بعد استشهادهم عطشي في الجنة المأوي ونعيم الفردوس عبر استخدام الكناية كونها أعظم شأناً من أن تستوعبها الألفاظ:

تنهـاهمُ عطشـي ولكـن حلـت جـداول البـيض لهـم مشـربا٥١

فيصف الشاعر التجمل والصمت إزاء عظيم البلية كمن يحاول مضغ الحصا بدون جدوي:

مضـغَته لهـا الخطـوبَ وكلّـت وعلـي المضـغ لاتلـين الحصـاةُ٥٢

فيشير إيماء إلي اصطدام الضلوع ببعض وهو من معالم شدة الخوف أول ارتعاد الفرائض أحياناً في حالة فقد الأمان وتداوي الفتن، ثم إلي شفرة البغي يعني اشتهار الطغاة والأرغاد سيف البغي والإفساد في البلاد، وأما جدع الأنف فهو يعني التهوين والإصطغار من الشيئ كما يعامل العبيدُ خزياً منه:

أي يـوم رعبـاً بـه رجـف الـدهر إلـي أنّ منـهُ اصـطفقن الضـلوعُ!

أي يـــوم بشـــفرةِ البغـــي فيـــهِ عـاد أنـفُ الإسـلام وهـو جـديعُ[٥٣]

فيشير الشاعر إلي مقارنة ليلة القدر (حسب بعض الروايات) وليلة استشهاد الإمام علي (عليه السلام) تعريضاً علي فتك أعداءه الحرمات بحيث ادعي آنه صارت الملائكة (عليهم السلام) منشغلاً عن سائر الخلق بعد هذه النائبة:

لقـد أراقـوا ليلـة القـدر دمـا دماءُهـا انصـبَن بانصـبابهِ

تَنـزّلُ الـروحُ فـوافي روحَـهُ صـاعدةً شـوقاً إلـي ثوابـهِ[٥٤]

فينضد الشاعر من أنقي كناياته المندمجة بالغلوّ ثلاثة مواطن معاً للدلالة علي قيام المنتقم وصحبه الأبسال أخيراً فيدعي أنه صار رخوة العيش حراماً عليه من بعد مصيبة الطف، حتي يأتي المنجي (عج) فيلتقي بالشعوب البشر طرّاً لقيام القسط أرجاء الأرض لكن بعد حروب نازفة تغتلي بها الدماءُ حارّة!:

لا نَـومَ حتّـي تُعيـدَ الشُّـمّ عـزمتَكم قاعـاً بهـا لا تَـري أمتـاً ولا عِوجـا

في موقـفٍ يخلِـطُ السبعَ البِحـارُ معـا بمثلِها من نجيعٍ قد طغت لُجَجا[٥٥]

ويأتي أيضاً بالكناية التعريضية عندما يصف النسوة النياح البواكي وهن يواجهن قافلة الأسري فيدعو الرجال هكذا إلي الثوران واستدراك البلية:

ويـــنُحنَ مـــن جـــزعٍ علـــي أنـــدي البريـــة بطـــن راح

أيـــن التجمُّـــل والأســـي مـــن ذات خـــدرٍ مســـتباحِ[٥٦]

ثم أشار إلي واقعة الطلقاء في عهد أبي سفيان وعفو النبي (ﷺ) عن جميع خطاياهم تعريضاً من جديد:

وقل لـ (أبي سفيان) ما أنت ناقمٌ؟ آآمنك يوم الفتح ذنبُ محمّد (ﷺ)

فكيف جزَيتم أحمداً (ﷺ) عن صنيعهِ بسفك دم الأطهارِ من آل أحمدِ (ﷺ)؟٥٧

ثمّ يشير تعريضاً إلي تردد جنود العدي أرجاء البلاد الإسلامية يستنزفون الدماء بدون خوف علي النقمة وهم متأكدون أنّ الهمم خافتة والنعرات نائمة:

أصبراً وهذي تيوس الضلا ل قد أمنت شفرةَ الجازر؟

أصبراً وسربُ العدي راتعٌ يروح ويغدو بلا ذاعر؟٥٨

ويشير تعريضاً إلي صدّ مياه الفرات علي الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه بيوم الطف:

حرامٌ عليك الماءُ ما دام موردا لأبناء (حرب) أو تري الموت مصدَرا٥٩

وأيضاً إلي مشهد ارتماء العليّ الأصغر (عليه السلام) بسهم العدي:

ومنعطف أهوي لتقبيل طفله فقبل منهُ قبلَه السهمُ مَنحرا٦٠

ويوجد بعض كنايات من نوع الرمز أثناء المراثي كما يلي مشيراً إلي هموم المسلمين المنقذة للصبر ورواج الجور بحقهم وضربهم بسياط العسف:

فكم ينحتُ الهمّ أحشاءنا؟ وكم تستطيل يدُ الجائر؟

وكم نَصبَ عينيك يا ابن النبي (ﷺ) نُساط بقِدر البلا الفائرِ؟٦١

فتضيق الطيور اللواحم ومنها النسور حول ساحة الوغي واستباقهم البعض لخرق الجثث القتلي فيعتبر رمزاً لشدة اندلاع الحرب الفادحة:

وفقت مَقفاً تضيقت الطيـ ـرَ قِراهُ، فحُوَّمٌ ووُقوعُ٦٢

فكسر غمد السيف في البيت التالي رمزٌ لعزيمة القتال حتي الموت أوالنصرة. ثم ادّعي أنّ الموت هو الذي قصدك صريعاً ولا بالعكس وربما يدل ذلك علي حفاوة صدور العدي غيظاً له وحقداً:

أحســـينٌ مـــذُ الحفـــاظُ انتضـــاكا  كسَـر المَـوت جفنَـه عـن شـباكا٦٣

والباقل اسم شخص يضرب به المثل في العي والغباء أحياناً وقس شخص آخر يضرب به المثل في الفصاحة فيأتي الشاعر بذكرهما معتذراً عن قصوره لمدح آل البيت (عليهم السلام) حق امتداحهم فيما يلي علي غرار كناية الموصوف عن الصفة:

فعـذراً فـإني (باقـلٌ) أن أقـل بكـم  مـديحاً لـه (قسٌ) الفصـاحة باقـلُ٦٤

فحاولنا انقسام المرايا البلاغية الأساسية في علم الأسلوبية الجديدة وفق الإحصاءات التالية وبناءً علي كيفية تطرق الشاعر بالمواضيع المحورية في قصائده:

**الشكل (١) نسبة الصور الشعرية المستعملة في المراثي حسب الدلالات الناتجة عنها**

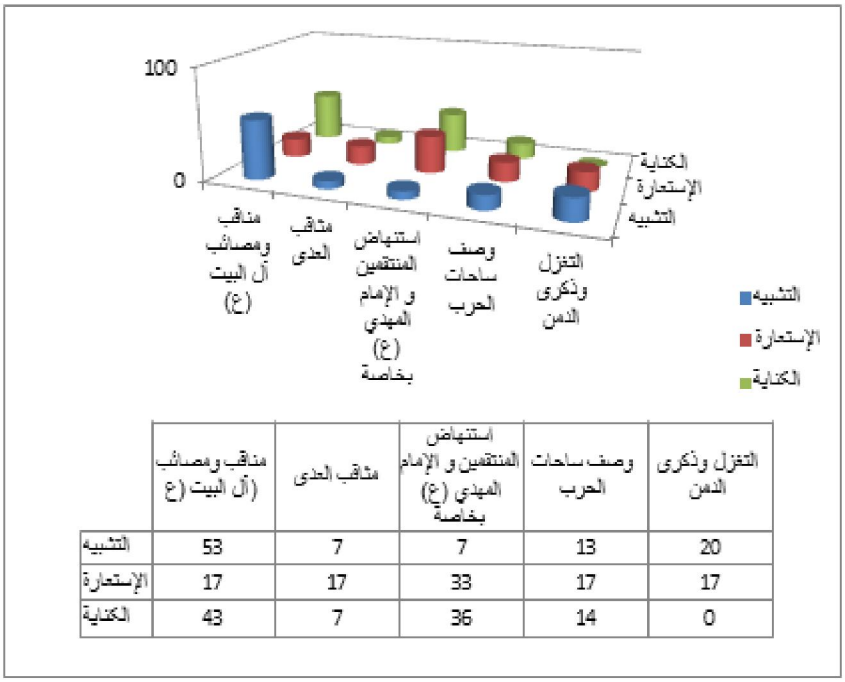


| | مناقب ومصائب (آل البيت (ع | مثاقب العدى | استنهاض المنتقمين و الإمام المهدي (ع) بخاصة | وصف ساحات الحرب | التغزل وذكرى الدمن |
|---|---|---|---|---|---|
| التشبيه | 53 | 7 | 7 | 13 | 20 |
| الإستعارة | 17 | 17 | 33 | 17 | 17 |
| الكناية | 43 | 7 | 36 | 14 | 0 |

بالنظر إلي الشكل السابق نحصل علي النتائج التالية:

- تدلّ هيكلة الجمل والأوزان علي إتقان السيد الحلي (ره) في الإتيان بالألفاظ الفخمه ويدل علي رزانة طبعه ووسعة ثقافته بلا شك فلا بفرط ولايفرّط في انتقاء الألفاظ بالنسبة لمقتضي الكلام في أي موقف من أشعاره رثاء كان محضاً أم مندمجاً بالحماسة ووصف ساحات الحروب والتغزل بالأطلال أحياناً.
- لقد حاول الباحثون انتقاء أبرز الشواهد البلاغية في مراثي الحلي (ره) ابتداعاً وبراعة فاكتشحوا عما يبدو اليوم عامية أو ساقطة واكتفوا بذكر الإستعارات المفهومية وأغراضها لمرة واحدة فقط وغضّوا عن ذكر أصداءها المصدّعة التي لاتدعم إلا مضامين بديهية مثل تشراب السيوف دماء العدي أو سيقها المكافحون بدماء العدي في قسم الإستعارات أو تشبيه الكامة بالأسود والعقبان إلا وأشير إجمالياً إلي أنها ميزة أسلوبية أثناء مراثيه.
- وفي قسم الكنايات أيضا فاكتشح الباحثون عن ذكر ألفاظ تطلق عادة علي السيف والرمح وغيرها من الأشياء التي يعرفه الذوق العربي في تداوله اليومية كسمر القنا والظبي والحسام وعواد الرسول (ﷺ) كناية عن منبره الذي يلقون الخطابات عليه أعاديه وفق ما يدعي الشاعر فلا دور لها في تغير نسبة الأغراض المشادة المئوية لقلة أصدائها في قصائد هذا الشاعر.
- إنّ المتأمّل في الشكل السابق يجد أنّ الصور الشعرية المستعملة في المراثي تتمحور حول دلالات يتكوّن منها الخطاب الشعري للسيد الحلّي منها مناقب أهل البيت (عليهم السلام)، مثاقب العدي، استنهاض الإمام المهدي (عج)، ووصف ساحات الحرب، والتغزل وذكر الدمن؛ إنّ دلالة مناقب ومصائب آل البيت (عليهم السلام) من أكثر الدلالات تواتراً في الصور الشعرية حيث بلغت نسبته (٣٧,٥٤٪) ولا عجب في ذلك إذ إنّ آل البيت (عليهم السلام) وماحلّ بهم من ويلات ومصائب يشكلان المواضيع الرئيسة لمراثي السيد الحلي؛ فيمثل

أساطين مراثيه ذكر مناقب ومراثي آل البيت (عليهم السلام) بالإضافة إلي استنهاض وانتظار المنتقم الآتي لاحقاً كميزة بارزة تفوق زهاء الضعفين بالنسبة إلي غيرها من الأغراض والمواضيع الشعرية المعكسة في الكنايات غالباً ما. وأما حول مدي انتماء الشاعر من الحسية إلي العقلية في تطوير هذه الصناعات أثناء مراثيه فتبدو حسية ومرتكزة حول التشبيه غالباً ما بالمئوية كما يلي :

**الشكل (٢) مسار تطوير الصناعات الأساسية من الحسية إلي العقلية بالمئوية**

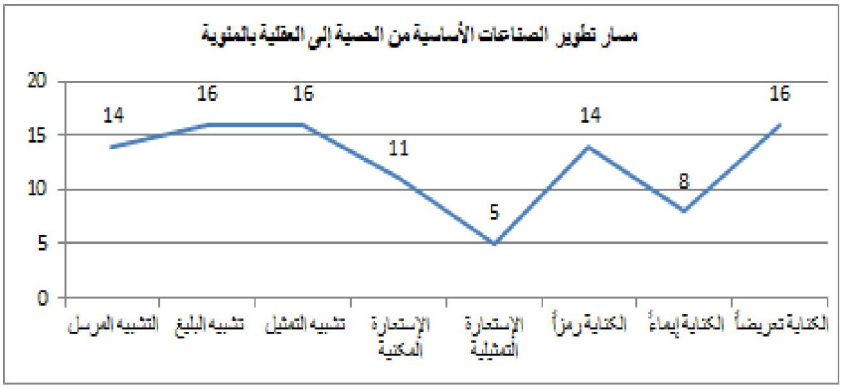


## الخاتمة:

بعد دراسة مراثي السيد حيدر الحلي من خلال بحث أسلوبي دلالي تمّ التوصّل إلي نتائج عدة منها:

- من خلال استقصاء مراثي السيد الحلّي فقد توصّلنا علي أربعة حقول دلالية تمثّل مجالات دلالية رئيسة يتكوّن منها خطاب الشاعر في مراثيه، وهي حقول الجريمة، الحزن والألم والجراح، والدين والمكان، فقد أكثر الشاعر من استخدام حقل الجريمة حيث طغت مفردات هذا الحقل علي مساحة النصّ الشعري يمكن تعليل ذلك بأنّ مراثي السيد الحلّي تتمحور حول أحداث جسيمة مؤلمة في معركة الطفّ؛ فيصف الشاعر الجناة وأبشع الممارسات التي مارسها علي عترة الوحي (عليهم السلام)؛ ويشكل حقل الألم،

والحزن والجراح حضوراً لافتاً في مراثي الشاعر بعد حقل الجريمة وذلك يعزي لطبيعة الشعر الرثائي حيث يعاني الشاعر فيه من ويلات الألم الشديد والتوجّع المضني للمرثيّ. بالنسبة لحقل الدين فقد تم توظيف مفردات هذا الحقل بشكل ملحوظ بحيث لا تقلّ عدداً عن مفردات حقل الحزن والألم؛ في ما يتعلّق بحضور لافت من هذا الحقل في المراثي يمكن تعليله بكون شخصية أهل البيت (عليهم السلام) مقدّسة طاهرة نظراً لأنّهم يعدّون موضوعاً رئيساً في المراثي؛ فقد أكثر الشاعر من استخدام مفردات هذا الحقل ليري المتلقّي ما يتحلّي به المرثيّ من الجلال والاحترام والعظمة والقداسة والطهارة. فقد شكلت مفردات حقل المكان حضوراً قليلاً بالنسبة لسائر الحقول؛ ويحمل جزء كبير من مفردات هذا الحقل دلالة سلبية حيث يرمز للقتل والدمار والوحشية من جانب بني أمية.

- إنّ الصور الشعرية البلاغية بمراثي آل البيت (عليهم السلام) من ديوان السيد حيدر الحلي تحمل دلالات كامنة وراء النص بوصفها أواصر مساهمة في العملية الإتصالية وبيان مقصود الشاعر والتعبير المريع عما يختلج في صدره من المشاعر؛ إنّ الصور الشعرية المستعملة في المراثي تتمحور حول دلالات يتكوّن منها الخطاب الشعري للسيد الحلّي منها مناقب أهل البيت (عليهم السلام)، مثاقب العدي، استنهاض الإمام المهدي (عج)، ووصف ساحات الحرب، والتغزل وذكر الدمن؛ إنّ دلالة مناقب ومصائب آل البيت (عليهم السلام) من أكثر الدلالات تواتراً في الصور الشعرية ولا عجب في ذلك إذ إنّ آل البيت (عليهم السلام) وماحلّ بهم من ويلات ومصائب تشكل المواضيع الرئيسة لمراثي السيد الحلي. فقد يستخدم الشاعر التشبيهات الحسية لجذب المخاطب وإغراءه علي متابعة القول من قبل ولوج البحث. ثم يستخدم الكنايات التعريضية العقلية لتقويمه وتثبيت أغراضه الأساسية ومنها استنهاض الهمم خاصة.

## هوامش البحث

(١) اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري عياد: ١٤٢.
(٢) تطور الأدب العربي والتاريخ والنصوص، محمود أنصاري: ٣٨.
(٣) المنجد في اللغة، لويس معطوف:٢٢٠.
(٤) لسان العرب، ابن منظور: ٢٤٨/١١.
(٥) البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لنزار قباني، رشيد بديدة: ١٢٣.
(٦) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدى:٣٤١/١.
(٧) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧٩.
(٨) المصدر نفسه: ٨٩.
(٩) مباحث في علم اللغة واللسانيات، رشيد عبد الرحمان العبيدي: ٢٠٢.
(١٠) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر: ٥٦٤.
(١١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٨٠.
(١٢) ديوان السيد حيدر الحلّي،: ١٢٩.
(١٣) المصدر نفسه: ١١٧.
(١٤) المصدر نفسه: ١٢٠.
(١٥) الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي: ٢٢٣.
(١٦) السيد حيدر الحلّي شاعراً، مدين الموسوي: ٦٨.
(١٧) دىوان السيد حيدر الحلّي، السيد حيدر الحلي: ١١٤.
(١٨) المصدر نفسه: ١١٤-١١٥.
(١٩) المصدر نفسه: ١٦٣.
(٢٠) المصدر نفسه: ١٦٠.
(٢١) المصدر نفسه: ١٦٧.
(٢٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبدالقاهر الجرجاني: ١١٤.
(٢٣) دىوان السيد حيدر الحلّي، السيد حيدر الحلي: ٧٦.
(٢٤) المصدر نفسه: ٨٣.
(٢٥) المصدر نفسه: ٦٤.
(٢٦) المصدر نفسه: ١٦٨.

(٢٧) المصدر نفسه: ٦٤.
(٢٨) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني: ١٢٠.
(٢٩) ديوان السيد حيدر الحلّي، السيد حيدر الحلّي: ٨٩.
(٣٠) المصدر نفسه: ٩٣.
(٣١) المصدر نفسه: ٩٣.
(٣٢) المصدر نفسه: ٦٩.
(٣٣) المصدر نفسه: ١٢١.
(٣٤) المصدر نفسه: ٧٠.
(٣٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٢٨٩/١.
(٣٦) ديوان السيد حيدر الحلّي، السيد حيدر الحلّي: ١٦٨.
(٣٧) المصدر نفسه: ٧٥.
(٣٨) المصدر نفسه: ٧٥.
(٣٩) المصدر نفسه: ١١٠.
(٤٠) المصدر نفسه: ١٣١.
(٤١) المصدر نفسه: ١٤٦.
(٤٢) الأسلوبيات وتحليل الخطاب، رابح بوحوش: ١٧٠.
(٤٣) ديوان السيد حيدر الحلّي، السيد حيدر الحلّي: ٦٤.
(٤٤) المصدر نفسه: ٦٨.
(٤٥) المصدر نفسه: ٧٩.
(٤٦) المصدر نفسه: ٨٥.
(٤٧) المصدر نفسه: ٩٩.
(٤٨) المصدر نفسه: ١٢١.
(٤٩) المصدر نفسه: ٦٣.
(٥٠) المصدر نفسه: ٦٦.
(٥١) المصدر نفسه: ٨٦.
(٥٢) المصدر نفسه: ٨٦.
(٥٣) المصدر نفسه: ١٢٣.

(٥٤) المصدر نفسه: ٧٣.
(٥٥) المصدر نفسه: ٩٠.
(٥٦) المصدر نفسه: ٩٦.
(٥٧) المصدر نفسه: ٩٩.
(٥٨) المصدر نفسه: ١٠٦.
(٥٩) المصدر نفسه: ١١٢.
(٦٠) المصدر نفسه: ١١٣.
(٦١) المصدر نفسه: ١٠٦.
(٦٢) المصدر نفسه: ١٢٤.
(٦٣) المصدر نفسه: ١٤٠.
(٦٤) المصدر نفسه: ١٤٤.

## قائمة المصادر والمراجع


١. اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري عياد، الرياض، دار العلوم، ١٩٨٥م.
٢. تطور الأدب العربي والتاريخ والنصوص، محمود أنصاري، ط٣، أهواز، جامعة شهيد جمران، ٢٠٠٣م.
٣. المنجد في اللغة، لوىس معطوف، قم، دار العلم، ١٣٨٦ش.
٤. لسان العرب، ابن منظور،ج١١، بىروت، دار صادر، ١٩٩٧م.
٥. البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لنزار قباني، رشيد بدىدة؛ رسالة ماجستير، جامعة الحاج اخضر – باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١١م.
٦. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط٥، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨م.
٨. مباحث في علم اللغة واللسانيات، رشيد عبد الرحمان العبيدي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٢م.
٩. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع: ٢٠٠٧م.
١٠. ديوان السيد حيدر الحلّي، السيد حيدر الحلي، تحقيق: مضر سليمان الحلّي، بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١١م.

١١. الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، بيروت، دار العلم.
١٢. السيد حيدر الحلّي شاعراً، مدين الموسوي، بيروت، دار الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
١٣. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة.
١٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ج١، ط٥، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١م.
١٥. الأسلوبيات وتحليل الخطاب، رابح بوحوش، عنابة الجزائر، مديرية النشر جامعة باجي مختار.